التلفزيون وأثاره على تشكيل البنية الأخلاقية والقيمية للمجتمع

كريم شويمات
جامعة البليدة

الملخص:

تعتبر وسائل الإعلام والاتصال السمعية البصرية من أهم وسائل الاتصال الحديثة التي تسيطر على الأفراد والجماعات والدول في غالبية أنحاء العالم في عصرنا الحالي، وذلك لما تتميز به من مميزات لا تتوفر في الوسائل الأخرى خاصة في ظل التنامي المتسارع للتكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال، فأصبحت الكثير من الدول تنفق إيرادات عالية عن طريق شركات منتجة لأجل تطوير هذه الوسائل المهمّة ، كونها وسيلة تعبئة وضغط وتوجيه للآراء وتحكّم وتسلّط على المجتمع ، بالإضافة إلى وسيلة للغزو الثقافي والاقتصادي بوجوهه المختلفة والمتعدّدة ، بعبارة أخرى وسيلة ناعمة للدخول للمجتمعات والنّفوس عامة بدون مواجهة وبدون رد فعل من أي جهة كانت ، وعليه أصبحت هذه الوسائل الاتصالية سلاحا أشد فتكا من الأسلحة التقليدية .

Abstract :

The audiovisual media and communication are the most modern means of communication, which controls the individuals, groups and nations in most parts of the world in the present age, and this due to its features which are not available in other means, especially in light of growing potential technologies of modern information and communication, making a lot of states in comes pent by companies producing for the development of this important means, being a basket, pressure and mobilization of views and guidance and control shed on society.

المقدمة :

أمام التغيرات العميقة التي طرأت على النّسق العام للمجتمعات بدأ الكثير من الباحثين والدارسين يرون أن ما يحدث الآن هو انتقال إلى نوع جديد من المجتمعات الذي لا يتأسّس أساسا على الثقافات المحلية والقطرية فحسب ، لقد دخلنا في رأيهم مرحلة هيكلية جديدة تتجاوز الحقبة أو بالأحرى التاريخ الإنساني بمجمله، وتعدّدت التسميات والمصطلحات المستخدمة لهذا النظام الاجتماعي الجديد، "المجتمع القرية" أو "عصر العولمة و المعلوماتية" أو "العالم الجديد".

فقد أفرزت الطفرة العظيمة في مجال الاتصالات للقرن العشرين مجتمعات جديدة تختلف كليا وجذريا عن سابقاتها في التاريخ البشري، أين أصبحت مرتبطة أشد الارتباط بالفضاءات الإعلامية والاتصالية الجديدة المحدثة، وأسّست لما أصبح يعرف بالبيئة الاتصالية الجديدة التي تعتمد على وسائط إعلامية تعمل في الكثير من الأحيان على توجيه الأفراد والجماعات في المجتمع ، وتصبح أداة لتوحيد الآراء والاتجاهات والأدوار ، و أداة للتعبئة الاجتماعية في القرارات المصيرية والمهمة .

ويعتبر التلفزيون من أهم هذه الوسائل الاتصالية ومن أخطرها، وذلك لما يتميز به من قدرة كبيرة على جذب جميع فئات المجتمع، إذ يتوفر على خصائص تقنية توفر له تقديم المعارف والمعلومات لجميع أفراد المجتمع .وعليه سنتطرّق إلى علاقة المادة التلفزيونية وتأثيرها على الجمهور المستقبل من خلال دراسة الآثار العامة لدخول التلفزيون في حياة الأفراد والأسرة والآثار المترتّبة على محتوى الرسائل التلفزيونية ومضامينها واعتقاداتها وسلوكيات الأفراد تجاه هذه المواد الإعلامية .

1. الإعلام المرئي (التلفزيون):

يعتبر التلفزيون أحد أهم وسائل الاتصال الجماهيري ، حيث أنه وسيلة إعلامية مهمة ، جاء التلفزيون لنقل الكلمة المذاعة مصحوبة بالصورة المتحركة لتصل إلى منازلهم، مراكز أعمالهم و تواجدهم، والتلفزيون يعرف

في معجم مصطلحات الإعلام بأنه وسيلة نقل الصورة والصوت في وقت واحد، بطريقة الدفع الكهربائي، وهي أهم الوسائل السمعية البصرية للاتصال بالجماهير عن طريق بث برامج معينة(بدوي محمد زكي، معجم مصطلحات الإعلام: ص161) يعتبر وسيلة نقل الصورة والصوت في وقت واحد بطريقة الدفع الكهربائي، وهي أهم الوسائل السمعية البصرية التي تربط بالجماهير عن طريق بث برامج معيّنة، تتكون من مقطعين الأول (tel) وتعني عن بعد، و الثاني(vision)وتعني الرواية أي أن كلمة التلفزيون تعني الرواية عن بعد(محمد منير الحجاب، المعجم الإعلامي: ص168)

2. التلفزيون والتنشئة الاجتماعية:

إن الخبرات و التجارب التي يمر بها الفرد خلال مرحلة طفولته وخاصة مرحلة المراهقة لها تأثيرا كبير في فكرته عن نفسه وعن مجتمعه وعن العالم المحيط به، كما تؤثر هذه الخبرات والتجارب في قدراته الإدراكية للأفكار والأحداث والأشياء وعلى إمكاناته للربط بينها والتفاعل معها، فقد أصبح من المؤكّد أن الأطفال منهم المراهقين يكتسبون كثيرا من تلك القيم والتصورات والمعتقدات الاجتماعية من خلال البرامج التي يشاهدها في وسائل الإعلام والقنوات الفضائية وهذا لا شك من شأنه أن يؤثر على ثقافتهم وقيمهم وسلوكياتهم الاجتماعية في مرحلة المراهقة إذ أن خبرات التنشئة الاجتماعية التي يتعرّض لها الطفل تشكل جزئيا هويّته ومعارفه واتجاهاته ومواقفه ولا شك أن هناك مجموعة من أفراد المجتمع بمختلف فئاته يشاهدون التلفزيون وبرامج القنوات الفضائية بجميع برامجها السلبية والإيجابية منها و خاصة الأطفال فسوف يتأثّرون بهذه البرامج الغير مراقبة والتي تحمل ثقافة بعيدة عن ثقافة مجتمعنا تؤثّر على أطفالنا وشبابنا فتجرّه إلى الانحرافات واكتساب سلوكيات جانحة .

3. التلفاز والعنف عند الأطفال :

أجري العديد من الدراسات والبحوث لتقيّم أثار برنامج التلفزيون، وعني أكثر هذه البحوث بآثار مشاهد التلفزيون على الأطفال وانعكاسات ذلك على

التنشئة الاجتماعية في المراحل الأولى من العمر، وتدور هذه الدراسات بصفة عامة حول أثار التلفاز على مستوى الجريمة والعنف ولاشك في أن تواتر العنف في البرامج التلفاز المنتجة في الغرب قد أصبح مدعاة للقلق في جميع الأوساط الاجتماعية في العالم ، وقد حلّلت بعض الدراسات نماذج ما يعرض في الولايات المتحدة من مسلسلات وتمثيليات خلال عدة سنوات متتالية بعد 1967 وتعرف هذه الدراسات العنف بأنه استخدام القوة الجسدية أو التهديد باستخدامها ضد النفس وضد الآخرين وما ينتج عن ذلك الإداء الجسدي أو حالات وفاة ، واكتشف الباحثون أن 80بالمئة من مجمل البرامج تتضمّن مستويات متفاوتة من العنف والجريمة ، وبمعدّلات تقرّب كل من 8 حوادث كل ساعة ، وتعلوا هذه النسب في برامج الأطفال ، رغم انخفاض حالات القتل والوفاة فيها بل إن أعلى مستويات العنف تتمثل في مسلسلات الكرتون الموجّهة للأطفال ، أما أثر هذه البرامج فعلى الجمهور عموما، وعلى الأطفال بصورة خاصة ، وتشير 67 دراسة أجريت إلى وجود رابطة قوية واضحة بين مستوى العنف في هذه البرامج من جهة وبروز النزعة العدوانية لدى الأطفال من جهة أخرى(أنتوني قيدنز، علم الاجتماع : ص525).

وترى دراسة أخرى إن كثيرا من البحوث لا تأخذ بالاعتبار الطبيعة المعقدّة للعمليات العقلية لدى الأطفال ،إن استجابة الأطفال للبرامج التلفازية لا تقتصر على التقاط مضمونها وتسجيله في أذهانهم ، بل إنهم يتجاوزون ذلك إلى قراءة محتويات البرامج وتفسير ما يشاهدونه ، وتلاحظ هذه الدراسة أن الأطفال ، حتى في مشاهدتهم لأتفه التفاصيل ، فإنهم يربطون ما يشاهدونه بمنظومة المعاني والمواقف التي تولّدت في نفوسهم بفعل التنشئة الاجتماعية ، وربما كانوا يدركون أن ما يشاهدونه لا يمثل واقعا فعليا ، غير أنهم يميلون لربطه بمواقف ومشاعر واقعية وأحداث فعلية تعرّضوا لها في حياتهم العائلية أو الاجتماعية ، ومن هنا فإن الآثار الباقية في نفوسهم لا تعود إلى العنف الذي يشاهدونه على شاشات التلفاز، بل إلى الإطار الشعوري الذي يتلقوّن من خلاله هذه المشاهد ، كما ترى دراسة أخرى حول المظاهر العدوانية في الأفلام الكرتونية الأجنبية(رزقسامية

سليمان، المظاهر العدوانية في الأفلام الكرتونية الأجنبية) والتي كان الهدف منها الإجابة حول التساؤلات التالية ، ما هي أشكال العنف التي تقدّمها سلسلة أفلام "فتيان سلاحف النينجا؟ وهل هو العنف البدني أم اللّفظي؟ وما هي المظاهر التي يتضمّنها محتوى موضوع الدراسة لتجسيد كل من هذين الشكلين؟ ما الأدوات والأساليب التي شاع ورودها في المسلسل للتّعبير عن الأفعال العدوانية ؟ما طبيعة النتائج التي تسفر عنها أحداث العنف والعدوان بالأفلام وما التوقيت المحدّد لإيضاح و إبراز هذه النتائج؟ وتوصّلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكن ذكر بعضها وهو أن المظاهر العدوانية الواردة تتركّز في سلسلة سلاحف النينجا على تقديم العنف اللفظي بمعدل نسبي يفوق العنف البدني. إضافة إلى تكرار ورود العنف اللفظي (30مرة)و تعدّدت مظاهره بين السّب والشتم والتهديد بالانتقام والتّحريض والاستهزاء بالغير ثم القذف بصفات غير أخلاقية كما ارتفع ورود الكائنات الخرافية لمرتكبي لأفعال العنف ووصول معدّلها النسبي الى6.23 مما قد يؤدي إلى التأثير على مشاعر الخوف لدى الأطفال ويخلق لديهم مفاهيم سلبية خرافية لا تعكس الواقع الفعلي وضِف إلى ذلك هناك تميّز بين الجنسين في قواعد النمو الاجتماعي وأساليبه حيث يفرض على الذكور الشجاعة والمغامرة ويفرض على الإناث الاستسلام و الاتكالية وعدم الدِّفاع عن النفس.

4. التلفاز و التغطية الإخبارية:

عني علماء الاجتماع بالأخبار التي ينقلها التلفزيون وخاصة أن الكثير من المشاهدين لا يقرؤون الصحف ، أما عن خيار شخصي أو بسب الأمّية مما جعل التلفاز المصدر الأساسي، إن لم يكن الوحيد لمعرفة ما يدور في العالم من أحداث وتطوّرات ، وتتفق أغلب الدراسات على أن التغطية الإخبارية للوقائع في جميع وسائل الإعلام والاتصال ، لا تقتصر على مجرد وصف موضوعي للحدث أو واقعة ما ، بل إنها في مضمونها وفي صيغة أدائها تنقل موقفا ما و يتجلى موقف التحيّز هذا في عدّة نواح من بينها التركيز على جوانب معيّنة من الحدث مع إغفال أخرى ، أو انتقاء جوانب معيّنة من

الواقعة التي يغطيها الخبر مع إهمال أخرى ، أو التشدّد في إبراز نقاط معيّنة في موقف ما وحذف نقاط أخرى قد تكون أكثر أهمية ودلالة (أنتوني قيدنز، مرجع سابق: ص555).

5. التلفاز والغزو الثقافي:

إن الفرد البعيد عن محاور الخلاف داخل أمريكا الشمالية لا يدرك مثل هذا الصراع لأن عوامل اللّغة ، الدين ، والمستوى الحضاري المشترك تقريبا بين الأمريكان والكنديين يجعلنا لا ندرك هذه القضية ، لكن الحجم الكبير الذي شغله الكنديين يضيقون ذرعا بالواقع الذي يعيشونه، ضلّت كندا مدى عقدين من الزمن تخوض على معركة خاسرة للحفاظ على شخصيتها في مواجهة غزو ثقافي متعدّد الأشكال يهدّد بطمس كندا كأمّة لها كيان، فالأنباء والمعلومات الأمريكية تغمر الصحف الكندية التي تسيطر عليها الأسوشيتدبرس واليونايتدبرس والخدمات الإخبارية للنيويورك تايمز و الوشنطن بوست و اللوس أنجلس تايمز والكتاب الأمريكيون المعروفون ، كما أن المجالات الأمريكية مثل التايم و الريدرز دايجست تؤثر في تفكير الكنديين وتسهم في صناعة أرائهم ، بالإضافة إلى الأفلام السينمائية الأمريكية وبرامج التلفزيون بأنواعها الترفيهية والإخبارية والإعلانية التي تعرضها محطات الإرسال الأمريكية على الشعب الكندي من وراء الحدود تغرق عقول الكنديين ونفوسهم ، القضية لم تعد أخبار وإنّما تجاوزتها إلى الغزو الثقافي .

ومثال أخر على دول أمريكا اللاتينية كونها تقع تحت سيطرة شبه كامل لوسائل الإعلام الأمريكية سواء في مجال الصحافة أم التلفزيون ، فوكالات الأنباء الأمريكية والخدمات الصحفية الخاصة والكتاب الأمريكيون يتولون احتكار أعمدة الصحف في أمريكا اللاتينية ولهذه السيطرة أثارها الظاهرة منذ زمن أجرى سنتورد ,هو أحد علماء النفس في أمريكا الجنوبية دراسة عن التلوّث الثقافي في فنزويلا ، وثبت أن 80بالمئة من البرامج التلفزيون التجاري الفنزويلي مستوردة ، منها 45.50 من أمريكا الشمالية ، 82.45 أنتجته وكالات الإعلان التي تعمل داخل البلاد ، وأوضحت دراسة سنتورد أن

المثل الأعلى للبطولة بالنسبة للطفل الفنزويلي كان يتمثل في شخصية أمريكية في86.3بالمئة من الحالات وكان هذا المثل الأعلى يتحدّث الإنجليزية في 28 بالمئة من الحالات ، بينما يتكلّم الإسبانية بنسبة 14.8بالمئة .

6. التلفزيون والإعلام من اجل الإقناع

عني علماء الاجتماع بالأخبار التي ينقلها التلفزيون وخاصة أن الكثير من المشاهدين لا يقرؤون الصحف، أما عن خيار شخصي أو بسب الأمّية مما جعل التلفاز المصدر الأساسي، إن لم يكن الوحيد لمعرفة ما يدور في العالم من أحداث وتطورات، وتتّفق أغلب الدراسات على أن التغطية الإخبارية للوقائع في جميع وسائل الإعلام والاتصال، لا تقتصر على مجرد وصف موضوعي للحدث أو واقعة ما، بل إنها في مضمونها وفي صيغة أدائها تنقل موقفا ما ويتجلّى موقف التحيّز هذا في عدة نواح من بينها التركيز على جوانب معيّنة من الحدث مع إغفال أخرى، أو انتقاء جوانب معيّنة من الواقعة التي يغطيها الخبر مع إهمال أخرى، أو التشدّد في إبراز نقاط معيّنة في موقف ما وحذف نقاط أخرى قد تكون أكثر أهمية ودلالة .

وتحليل هذه القضية جيدا يمكننا الإشارة إلى أن هناك فرقا بين الاتصال بغرض الإعلام والاتصال بهدف الإقناع ،فالاتصال الإعلامي ...اتصال بالجماهير يستهدف –بصفة عامة – الإعلام، والشّرح والتفسير والتحليل وتقديم المعلومات والمواد المعرفية والتسلية ...إلا أن الاتصال الإقناعي لا ينطبق عليه هذا التعريف، فهو نشاط اتصالي أخر يعني الاتصال الذي يحدث عندما يوجه القائم بالاتصال – عن قصد – رسائله الإعلامية لإحداث تأثير مركز محسوب على اتجاهات وسلوك مجموعة معيّنة مستهدفة من الجمهور ، فتجد فرقا بين هذين النّوعيين من الاتصال من حيث الهدف المنشود منهما ، فالاتصال الإعلامي وإن كان يهدف للتأثير إلا أن ذلك التأثير يكون من خلال الحقائق والمعلومات فهو لا يتجاوز ...تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في الواقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبّر هذا الرأي تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم...خلافا

للاتصال الإقناعي الذي يشبه الدعاية في تعريفها من حيث الهدف ومن حيث التعامل مع الحقيقة حيث تهدف إلى محاولة التأثير في الأفراد والجماهير والسيطرة على سلوكهم ، حيث لا يكفي هذا النوع من الاتصال بوصول الرسالة إلى جمهور المستقبلين ، بل يحرص على إحداث الأثر.

فالآثار المترتبة عن ممارسة الفعل الإعلامي تكمن من خلال توجيه الضمير الجمعي لغايات وأهداف تؤسس للاحتلال الثقافي والفكري تحت غطاء حرية التعبير والممارسة الديمقراطية وهذا كحقيقة طبيعية تفرضها قيم العولمة والتحضُّر.

هذه القيم تؤسس لاجتياح ثقافي للعولمة ، من خلال حرب مزمنة ومنظّمة تشنُّها قوى الإمبريالية على جموع المجتمعات، لتبلغ وكما أشار له الباحث مصطفى حجازي في كتابه التخلف الاجتماعي ، إلى " حد التنكّر التام للوضعية الذاتية والذوبان في عالم المتسلّط"، أين تتعرّض الثقافة الوطنية لشتّى مخلّفات الغزو الثقافي كونها تتغلغل في مختلف مظاهر الحياة والسلوك بشكل واع وغير واع ، والتي تولد بدورها التصدّع في البناءات المجتمع ، أي بتعبير أخر تؤسس لثقافة التخلّف ، ولهذه الثقافة وظيفة تبريرية الأخطر فيها هو الذي يمسّ ذات الإنسان ، بحيث يولد أساليب دفاعية تكون في الكثير من الأحيان سبب انكفاءه وتقهقره.

قائمة المصادر والمراجع:

1. بدوي، محمد زكي، معجم مصطلحات الإعلام، دار الكتاب المصري، القاهرة ،1995.
2. محمد منير الحجاب، المعجم الإعلامي، دار الفجر ، القاهرة، ط1، 2004.
3. أنتوني قيدنز، علم الاجتماع ، ترجمة فايز الصباغ ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت 2005.
4. رزق،سامية سليمان، المظاهر العدوانية في الأفلام الكرتونية الأجنبية، المكتبة الانجاز مصرية، القاهرة ،1994.

5. أحمد عبد الحليم وآخرون ، الطفل في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الكويت 2011
6. سعيد مبارك ال الزعيتر، التلفزيون والتغير الاجتماعي في الدول النامية ، دار الشروق، بيروت 2008
7. مصطفى حجازي ،التخلف الاجتماعي ، المركز الثقافي العربي, بيروت 2007
8. ريان سالم بدير ، الطفل مع الاعلام والتلفزيون ، دار الهادي ، 2007
9. Pierre Bourdieu, Sur la télévision, raisons d'agir libre, P aris, 1996